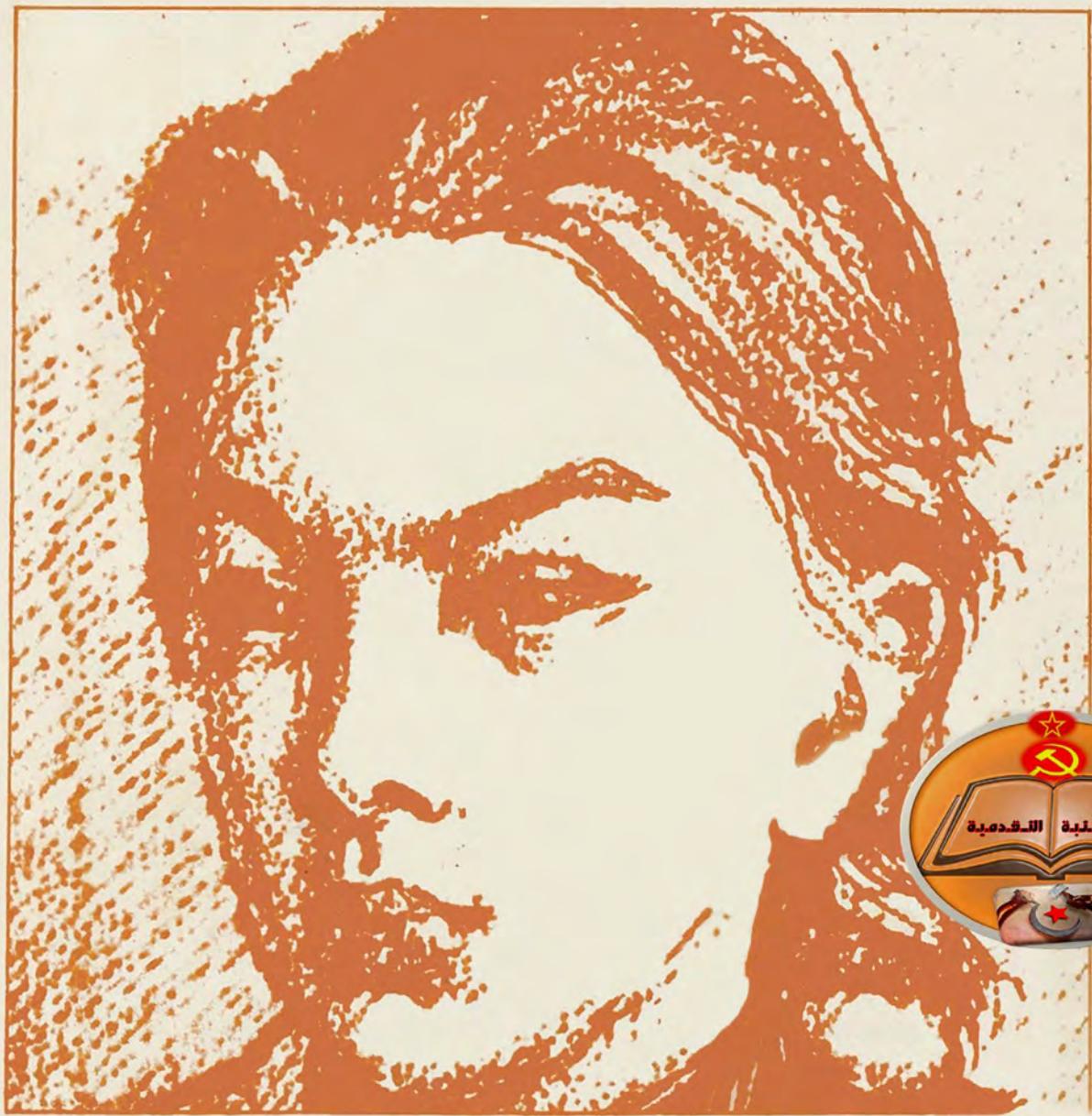


سلسلة الفك والماكسجي - اللينينجي

النحو في النحو

كرهوس كايا



طبعـة ثـانـيـة

دار الفـارـابـيـ - بـيرـوـتـ
مـكـبـثـةـ الـنهـضـةـ - بـغـدـادـ

کروبسکایا

الشقيق الناطق

دار الفارابي - بيروت
مكتبة النهضة - بغداد

الحقوق محفوظة للطريق الجديد - بغداد

الطبعة الثانية

١٩٧٤ - حزيران - بيروت

تنظيم التثقيف الذاتي

قدمت ثورة اكتوبر الاشتراكية للكادحين - العمال وال فلاحين - فرضا واسعة جدا كيما يعيدوا بناء حياتهم . فقد شعر العامل أنه سيد مشروعه ، واستسلم الفلاح الأرض ، فأصبح حلمه الذي في ذلك واقعا ملموسا ، وقد أدى كل ذلك إلى بirth النشاط فيهم واثارة حماسهم .

ولكنهم سرعان ما أدركوا انهم عقيمون بسبب افتقارهم إلى أبسط مبادئ المعرفة . وقد أذلت الحرب حالة الانعزال التي كان يعاني منها الريف واطلعت الفلاح على اسلوب حياة الناس . فرأى الفلاح منجزات العلم ، وعلم ان العلم جعل بمستطاع الانسان أن يجدد خصوبة التربة وأن يستدر منها طاقاتها وثرواتها . وكان العامل قد عرف كل ذلك من قبل .

والثورة اذ جعلت الجماهير الكادحة سادة مصيرهم

أيقطت فيهم رغبة تطبيق العلوم لاغراضهم الخاصة .
وقد كشفت هذه الرغبة للعامل والفلاح أكثر من ذي
قبل افتقارهم الى المعرفة و حاجتهم الى اكتسابها .

ان الحكومة السوفياتية تعطف كل العطف على رغبتهما
في الدراسة و تؤيدتها . وقد كان التعليم خارج المدارس
في ظل القيصيريّة منظما تنظيما بائسا رديئا . بيد أن
الحكومة السوفياتية تغير العمل بين الراشدين اهتماما
خاصا ولا تبذل في بذل المبالغ الطائلة في هذا السبيل .

ان النضال ضد الامية يسير على قدم وساق . فقد
أنشأنا حوالي ٨٠،٠٠٠ قاعة مطالعة في الريف و حوالي
٣٠٠٠ مكتبة وشبكة واسعة من المدارس الحزبية
السوفياتية والنواحي ٠٠٠ الخ . وقد استفدنا من
الصحافة الى اقصى حد ، كما استخدمنا التسهيلات
الثقافية لغرض التحريك ، وقد قمنا بحملات تحريكية
ونظمنا دورات دراسية متنوعة .

ومنذ اقامة السلطة السوفياتية قبل خمس سنوات
بذلت معاهد التعليم السياسي جهودا جبارا في سبيل
بذور المعرفة بين السكان .

والجيش الاحمر بدوره مركز كبير آخر من مراكز الثقافة . فالستانutan اللتان يقضيهما كافة الشباب في الخدمة العسكرية في الجيش الاحمر لا تضيع هباء في الجيش الاحمر مدارس للجنود من مختلف المستويات التعليمية اضافة الى المكتبات والنوادي (في الجيش الاحمر الان (١) ما يزيد على ١٢٠٠ نادي و ٦٢٠٠ حلقة من الحلقات السياسية والتعليمية والزراعية وغيرها ، تضم بمجموعها ما يزيد على ١٣٠٠٠ عضو) .

ولم يكن عمل النقابات في مضمون التعليم اقل اهمية من ذلك وكذلك المنظمات النسائية (٢) وعصبة الشباب .

وقد نظمت تشريعات قبول الطلاب والاعانات بحيث تجعل بمستطاع اوسع ما يمكن من جماهير العمال وال فلاحين الالتحاق بمعاهد الدراسة العالية . وقد اجريت التسهيلات الالازمة لقبول كافة ابناء العمارة وال فلاحين في المدارس الثانوية . وقد انشئت مدارس

(١) الحديث عن عام ١٩٢٢

(٢) منظمات للعمل بين النساء العاملات والفلاحات نظمت في ايلول ١٩١٩ في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي . ومن ثم انشئت في كافة المنظمات الحزبية المحلية .

خاصة - مدارس اعداد العمال - لاعداد العمال
والملاحين للجامعات ومعاهد التعليم العالي الاخرى .

بيد ان هذا كله لا يشبع نهم الشعب العامل للتعليم .
فسيلعب التثقيف الذاتي في روسية دور ذا أهمية
استثنائية ولأمد طويل .

غير ان التثقيف الذاتي لا يمكن ان يعطي ثمارا طيبة
اذا علم المرء ماذا يقرأ وكيف يقرأ وكيف ينظم
دراساته على احسن وجه .

انهم لن يترفوا كيف يسيرون في دراساتهم وماذا
يقراؤن وكيف يقراؤن ، بل انهم يفتقرون الى العادات
الأولية التي لا غنى عنها عند دراسة الكتب . وغالبا ما
لا يرضى رجل ، وهو ما زال حديث عهد بالقراءة والكتابة
بقراءة اقل من كتاب ماركس (رأس المال) ليحصل على
نتيجة واحدة فقط ، هي انه لا يفهمه .

اما الناس الاقل عزما وذوق القلوب الخائرة فانهم
يعتبرون الدراسة امرا صعبا وعسيرا ولذلك يسقطونها
من حسابهم . والدراسة ليست صعبة الا بسبب ان المرء
يريد قراءة ماركس دون ان تكون له المهارة والمعرفة

اللازمتان لاستيعاب الموضوع ، أي لأن المرء لا يخرج
لصيد الدببة أعزلا كما يقال .

والناس الأكثر عزماً والثابرون ينجذبون ما يريدون
ولكنهم اثناء ذلك يبذلون جهودهم بذلا لا ثمرة فيه وكثير!
ما يرهقون أنفسهم بذلك .

كثيراً ما يجري الحديث في بلادنا عن الدعاية لتنظيم
المعمل والانتاج . أما ما تتضمنه هذه الأحاديث فهو
بالدرجة الرئيسية تنظيم الانتاج .

لقد حل فردريك تايلر وغيره من المهندسين
والخصائين مسألة تنظيم العمل البدني تحليلاً مفصلاً
ضافياً . بل توجد كتب عديدة جداً في موضوع تنظيم
المعمل وتوزيع الأدوات وتقسيم العمل وأصدار التعليمات
وتقدير العمل الناتج . ولا تناقش هذه المسائل إلا لغرض
تجنب تبذير الوقت والطاقة .

إن خيرة العمال من وجهاً نظر كفاءة تنظيم العمل هم
العمال الذين ينجذبون عملهم انحيازاً مرضياً وسريراً
وببذل أقل ما يمكن من الزمن والطاقة .

ولكننا اذ نؤكد في حالة العمل البدني دائمًا على الاهمية الكبيرة لتنظيم العمل تنظيمًا مناسباً صحيفاً، فاننا نتجاهل هذه الحقيقة الجلية الواضحة في مضمون العمل العقلي رغم انها ذات اهمية بالغة للطلاب ولاؤلئك الذين يجدون انفسهم مضطرين على رفع مستوى معرفتهم عن طريق التثقيف الذاتي .

اختيار مادة الدراسة

ان مجال المعرفة الانسانية مجال واسع رحب . ففي مضمون العصور اكتسب الناس مقداراً هائلاً من المعرفة عن الطبيعة والمجتمع مما لا يمكن تصديقه . وليس من يستطيع استيعاب جميع هذه المعرفة اطلاقاً . اذ ينبغي ان يعيش عشر مرات كيما يتقنها بل حتى ذلك لا يكفيه . وليس بالانسان حاجة ، على كل حال ، لأن يتعلم كل شيء . فيكفيه ان يختار من بين هذه الكتلة الهائلة من المعرفة الانسانية أهم ما فيها ، أي المعرفة التي تجعل الانسان شديد البأس وتمنحه السلطة على الطبيعة والتطورات التي تعلمه كيف يستفيد من قوى الطبيعة وثرواتها وكيف يغير حياة المجتمع الانساني . بل من

الضروري أن نختار المواقف ذات الأهمية العظمى
بالنسبة للإنسان .

اننا نعيش عصر ثورة اجتماعية ، نعيش وقتا يشرف فيه النظام الرأسمالي القديم على الانحلال والموت ليفسح المجال للنظام الشيوعي الجديد . والنظام الرأسالي قائم على اساس الاستغلال والاضطهاد ، انه نظام ادى الى الحرب الامبرialisية العالمية التي هزت العالم . وهذه الحرب واهو الها مزقت القناع المثالي عن جسم الرأسالية ، فكشفت للجماهير الواسعة عن ظلم النظام الرأسالي وعن آفاقه المظلمة . ان اذهان الشعب العامل تعمل دونما كلل بحثا عن اشكال جديدة للحياة الاجتماعية . وها ان روسيا قد بدأت بالفعل في بناء حياة جديدة . بيد ان هذه العملية تحف بها ظروف صعبة للغاية . وهذا بطبيعة الحال يتغير اهتماما هائلا بالقضايا المعاصرة اذ يريد الناس فهمها وادراك معانيها .

ان الناس الذين يتوقعون الى فهم الاحداث الجارية - وهذا لعمري أمر هام جدا - يجب ان يقرأوا الصحف ، وان صحفا كالبرافدا مثلا ، تتيح لهم فرصة فهم اشياء كثيرة . والصحيفة على اية حال لا يمكنها الا ان تجبر

الذهن على العمل في اتجاد معين فقط . اي ان تجذب الانتباد الى حقيقة معينة وتبين كيفية التعامل مع هذه الحقيقة . وباختصار ، انها تستطيع ان تفعل ما يفعله محاضر او خطيب موهوب واسع الاطلاع : اي توجيه الذهان الى الطريق الصواب وتبیان الطريقة الصحيحة لمعالجة الامور وتلخيص القضايا الهامة . غير ان على المرء ان يقرأ بالإضافة الى الصحيفة ، الادب المتعلق بقضية معينة . كيما يستوعب اهميتها ومغزاها . فليس للانسان ان يأمل في فهم شتى ظواهر النظام الرأسمالي ان هو لم يفهم الترابط الغامض بين اجزائه . وهكذا حين يريد امرؤ ان يفهم التطورات الجارية ، عليه ان يدرس النظام الرأسنالي وتركيبه والعلاقة القائمة بين الاقتصاد الرأسنالي والايديولوجيا الرأسنالية . زد على ذلك يجب ان يكون فكرة واضحة عن القوى المعادية للرأسمالية التي تنشأ وتطور في المجتمع الرأسنالي . فهنا يكمن مفتاح فهم الاحداث الجارية .

واثمة مسألة اخرى لا تقل عن سبقتها اهمية : في اي اتجاه يتطور المجتمع البشري ؟ هذه مسألة جوهرية وحيوية . فالشيوعيون يدعون ان المجتمع الرأسنالي يتقدم بفضل قوانين التطور نحو الشيوعية . ولكي يفهم

المرء الى اين يسير المجتمع البشري عليه ان يدرس قوانين تطور المجتمع . وتاريخ المدنيات القديمة يكشف عن هذه القوانين كشفا واصحا بصورة خاصة وبشكلها البسيط جدا ، ولذلك فمن الضروري دراستها . بيد ان على المرء ان لا يقتصر على دراسة المدنيات القديمة وحدها : بل يجب ان يرى كيف تطور المجتمع وكيف تحكمت هذه القوانين في المجتمعات التاريخية التالية ، وكيف تعمل في المجتمع الرأسمالي . وحينئذ سيتضح الاتجاه الذي يتتطور نحوه المجتمع .

والى جانب المسائل ذات الطابع الاجتماعي يجد المرء مسائل عن الظواهر الطبيعية . فالانسان عضو في المجتمع الانساني وكذلك عضو في العالم الحيواني ، ولذلك لا يؤثر عليه الناس ولا تؤثر عليه الحياة الاجتماعية وحسب ، بل ان الطبيعة وظواهرها ايضا تمارس عليه تأثيرها . فعليه وجوب ان ندرس الطبيعة وظواهرها في شتى اشكالها المتعددة ، كما وجوب ان ندرس قوانين الطبيعة الحية منها وغير الحياة . وقد تناول العلم الطبيعي الظواهر الطبيعية تناولا معينا محدودا كالمراقبة والاستنتاج ثم اختبار الاستنتاج . فباستخدام هذا الاسلوب وبدراسة ظواهر الطبيعة

وقواها دراسة تدريجية بطيئة اكتسب العلم - وهو خبرة الانسان المجتمعية والمنسقة - مقدارا واسعا من المعرفة الهامة في هذا المضمار ، مما اتاح له استخدام ثروات الطبيعة وقوتها لصالحة البشرية افضل استخدام . من الضروري ان يتعرف المرء على المعرفة التي اكتسبها الانسان في مضمون العلوم الطبيعية لان ذلك يقدم له صورة واضحة عن سيطرة الانسان النامية على الطبيعة .

وثمة جانب آخر من العلوم الطبيعية يثير اهتماما خاصا . فاننا ندرس الحياة الاجتماعية في تطورها وهذا يجب ان يكون اسلوبنا في تناولنا العلوم الطبيعية أيضا : أصل الارض أصل الحياة على الارض ، أصل شتى انواع النباتات والحيوانات ، اصل الانسان - هذه كلها امور يجب على الانسان أن يعرفها ان أراد أي يفهم دوره في الطبيعة حق الفهم وأن يشعر بأنه ثمرة من ثمار الارض . ومن المهم ان لا يقتصر المرء طبعا على التعرف على آخر منجزات العلم بل ان يتعرف ايضا على طريقة التوصل الى هذه المنجزات وعلى الادوات والحقائق التي اتاحت لنا هذه المنجزات .

من المهم ان لا يأخذ المرء الامور على عوامها ، بل

ان يشعر حقاً بأنها كذلك . ففي قديم الزمان وضع الناس العديد من الأساطير حول اصل الارض ، و حول اصل الانواع و اصل الانسان . وما زالت هذه الأساطير سائدة حتى يومنا هذا رغم ان المراقبة والابحاث والحقائق قد دحضتها وفندتها . هذا ايضاً يجب دراسته .

يهوى البعض ان يزعموا بأن الكتاب اداة للعمل وليس وسيلة لتطوير نظرة المرء الى العالم . يقول هؤلاء : « ان الكتاب يعود للعمل الانتاجي وليس لاكتساب المعرفة وليس لتطوير نظرة منسقة منسجمة للعالم ، كما قد قيل من قبل . هكذا يجب ان يكون شعارنا . علينا ان نجعل الكتاب في خدمة المطرقة والمنجل . » هكذا يقولون .

انها كلمات جارفة ولكنها عديمة المعنى . فما معنى « ان الكتاب يعود للعمل الانتاجي وليس لاكتساب المعرفة » ؟ وما مغزى هذا القول يا ترى ؟ ان الكتاب يؤدي بالضبط الى اكتساب المعرفة التي تجعل العمل اكثر انتاجية . ثم يلي ذلك الزعم بأن « الكتاب اداة للعمل الانتاجي » وليس « لتطوير نظرة منسقة

منسجمة للعالم ، » . وهذا خطأ ايضا . فما هي النظرة الى العالم . انها هذا الحل او ذاك ل المسائل الاساسية التي تحدد موقتنا من بيئتنا ومن الطبيعة . ايمكن ان نترك هذه المسائل دون حل ؟ كلا لا يمكننا ذلك لاننا لو تركناها لما فهمنا اي شيء عن الحياة وبنكون كالجراء العمياء . وما هي النظرة « المنسقة المنسجمة » للعالم ؟ انها نظرة مدروسة جيدا ، نظرة تجib على كافة المسائل الاساسية اجوبة لا تتناقض فيما بينها بل ينسجم احدها مع الآخر ، اجوبة تكون بمجموعها كلا موحدا . وحين يدرس المرء كافة المسائل الاساسية دون أن يناقض نفسه بنفسه . فهل هذا امر حسن ام رديء ؟ مثل هذا الانسان يعرف ما يجب ان يفعله وكيف يفعله ، انه ما ندعوه رجلا « واعيا طبقيا » . ولدينا كل الاسباب التي تجعلنا نعتقد بأن عمل الرجل الوعي طبقيا سيكون أكثر انتاجية من عمل رجل لا يعرف وجهه من قفاه . وعلى ذلك يجب ان لا يتصور المرء بأن تكوينه نظرة صائبة للعالم امر فات او انه وقدم عهده وامر غير شرعي . والشيوعي يسعى لأن يصبح ماركسيا جيدا ومؤيدا صلبا للنظرة المادية للعالم بكل ثمن . فهو مؤمن بأن هذا سيساعدنه على العمل والسلوك بشكل افضل ومعنى ذلك انه يكون ذا كفاءة اعظم .

كيف ندرس المواد الضرورية

من المهم جداً بالنسبة من يريد أن ينكب على التثقيف الذاتي أن يعرف بماذا يبدأ وكيف يواصل دراسته . وطبعاً يجب أن يبدأ بكتب يستطيع فهمها ، سواء من حيث شكلها أو محتواها . فالرجل الذي لا يلم بمبادئ الرياضيات لن يفهم الرياضيات العالية ، وكذلك لا يفهم هيجل من لم يكن له بعض الالام بالفلسفة . بيد أن هذا ليس كل شيء . فلو تناول أحدهم كتاباً يبحث موضوعاً لم يفكر فيه من قبل بتاتاً ، موضوعاً لا يحرك فيه عاطفة ، موضوعاً لا يعرف كيف يربطه بما لديه من معرفة وبالحياة ذاتها ، فإن قراءة مثل هذا الكتاب قلماً تفيده أية فائدة . بيد أن الأمر يختلف إن كان الكتاب يبحث موضوعاً مألفاً وإن كانت محتوياته تعطيه الجواب عما يدور في خلده من أسئلة .

ولكي أوضح ذلك أورد لكم ما حدث لي منذ زمن طويل - وفي الحقيقة قبل ما يقرب من ثلاثين عاماً . فرغم أنني كنت قد تخرجت من المدرسة الثانوية ، إلا أنني لم أكن بعد قد سمعت بتاتاً بأن هنالك «لما» اسمه

الاقتصاد السياسي (ولم يكن هذا الامر عجيبا في تلك الايام) .

وذات يوم قدمت لى احدي صديقاتي كتاب ايقانيوكوف في الاقتصاد السياسي وحثتني على قراءته . وكان كتابا من الكتب الشعبية في شكله وفي محتواه . وقد بدأت بقراءته . وأخذت اقضمه لمدة طويلة وانهيتها اخيرا ، ولكنني لم ازل منه اية فائدة بتاتا . وبعد اشهر قلائل ، بعد ان بيدأت حضور اجتماعات الحلقات ادركت لماذا تجب معرفة الاقتصاد السياسي . فبدأت أقرأ ماركس وقرأت المجلد الاول من رأس المال بلهفة عظيمة وبسرعة ايضا ، لقد علمني الكثير . وقد بدأ لي كتاب شعبي صغير اصعب من كتاب علمي ضخم .

ان المحاضر او المعلم الموهوب المنكب على موضوعه يعرف دائما كيف يثير اهتمام الآخرين فيه وكيف يوجه افكارهم الوجهة الضرورية وكيف يثير اهتمامهم في المسألة المعينة . قد لا تكون المحاضرة لذيدة او عميقه أحيانا ، ولكنها اذا ما جعلت السامع يفكر و اذا ما اثارت فضوله حينئذ تكون محاضرة قيمة . في الايام الغابرة كان معلمو الفقه يستخدمون الادب لاثارة افكار

تلاميدهم . والخطيب يستطيع ذلك في اجتماع . فالاحاديث مع الرفاق ومناقشة القضايا مناقشة مشتركة يمكن ان تؤثر كثيرا في اثارة فضولهم واهتمامهم . لذلك فان النشاط الجماعي في الصفوف او الحلقات قيم للغاية - وانه حافز وداعم ممتاز .

ولنبحث موضوع الاهتمام بشيء من الاسهاب .

للناس المختلفين ميول مختلفة . فالبعض منهم يهتم بالنشاط الاجتماعي بينما يهتم الآخرون بالتقنولوجيا وغيرهم بالفنون الخ . وهنالك بون شاسع بين ان تجبر نفسك على دراسة الشيء وبين ان تدرس شيئا تحبه ، شيئا جذابا . والنتائج تختلف اختلافا شاسعا أيضا . تعرف مثلاكم يصعب على الاطفال ان يتعلموا شيئا حين تملا رؤوسهم امور اخرى . « صدق او لا تصدق ، صدق او لا تصدق ، لقد نال بوشكين صبرا جديدا » .

لماذا كان بوشكين متأخرا في دراسته في الندوة العلمية ؟ هل يرجع ذلك الى انه ولد مدللا أو كسولا ؟ كلا بالطبع . بل انه كان متأخرا في الدراسة لأنهم لم يدرسوه ما كان يريد ان يتعلمه ولأن اهتمامه كان منصبا

على دراسة الشعر . واليكم كيف يصف بوشكين مزاج الشاعر حين يعيش خارج نطاق ميوله وثم حين يثار اهتمامه :

ليس ثمة الكثير مما يثير اهتمامه حقا
في ضوضاء عالمنا .
فروحه الشاعرة غارقة في نوم عميق
وشعره لم يزل غير مسموع .
ومن بين أكثر الناس غباء على الأرض
يكون أقلها اظهارا لكتفاته .
وما ان تبلغ آذنيه المرهفتين
كلمة الهيبة جليلة
الا ويبدو كعذاب الجو
ويصبح عندها خيرة الناس لا شيء أمامه . (١)

وما يدعوه بوشكين مجازا «بالكلمة الالهية الجليلة»
هو الميل والرغبة في الواقع .

ان المزاج الروحي الذي يسبقه بوشكين على الشاعر
يصبح كثيرا على كل رجل يظهر اهتماما حيا عميقا وثابتـا

(١) من قصيدة بوشكين «الشاعر» .

في موضوع معين . خذوا مثلا طيبا يحب مهنته حبا مرتبك . فان روحه خارج مهنته غالبا ما تكون « غارقة في سبات عميق » - انه فاتر عديم الاهتمام بكل ما يحدث حواليه . ولكنه ما ان يتحدث امرؤ في موضوع اختصاصه الا « ويبدو كعذاب الجو » . لو راقبتم الناس عن كتب لوجدتم ان اغلبهم يهتمون بشيء ما اهتماما خاصا . فالبعض منهم يهتم بمواضيع واسعة جدا كاعادة بناء المجتمع الانساني . بينما يهتم آخرون بمكافحة الحرائق وآخرون بأطفالهم وهكذا دواليك . ويكون هذا الاهتمام عادة نتيجة انتساب عميق جدا وبعيد جدا في الغالب . اني اعرف رجل اطفاء خبير . حين كان في العاشرة من سنه رأى حريقا فأثر فيه تأثيرا هائلا . ورجع الى بيته متاثرا بالغ التأثير ولم يترك أحدا لم يصف له ذلك الحريق . وقد أدهشه العمل الذي ينجزه رجل اطفاء فأثير اهتمامه من هذه الناحية ورسم عنها صورة زاهية الالوان الى حد المبالغة . ثم جاءت بعد ذلك حياة طويلة - سنوات الدراسة الثانوية الكئيبة ، ثم عمل كموظف بسيط وهو ايته المحببة : اذ كان يعمل مقطوعا في فرقه اطفاء مدينة صغيرة .

لقد عينت وحددت عمل بوشكين طيلة حياته قصص

مربيته الخرافية الشعرية والانطباع العميق الذي تركته
هذه القصص عليه .

وكلما بحثنا عن مصدر هواياتنا وميلنا الخاصة
نجد في الماضي ، والماضي السحيق على الغلب - في
بعض تجاربنا العاطفية اي في بعض التجارب التي
تستولي على مجتمع قلوبنا .

ان اهتمامنا بموضوع معين هو الذي يركز انتباها
الىه . فالانتباه يمكن تحفيزه واثارته ويمكن عدم
تحفيزه واثارته . والانتباه المحفز المثار لا يكون ابدا
بل يجب بعثه واحياؤه مرارا وتكرارا . اما الانتباه غير
المحفز فلا يتطلب اي مجهود من جانب ارادتنا : اضعف
الى ذلك انه يكون اعمق واشد اكتاما . فالطالب الذي
لا يميل الى التاريخ يجد صعوبة في تركيز انتباهه الى
شرح المعلم . فان افكاره مشبعة بأمور اخرى ولذلك
يصبح قليل الانتباه ويجب ان يشحذ اهتمامه مرارا
وتكرارا وهذا يكلفه مجهودا كبيرا .

اما اذا كان القلميد ميلا الى درس التاريخ فانه
يتبع مدرسه بكل امعان دون ان يبذل اي مجهود .

وكلما طال الوقت الذي يستطيع امرؤ ان يركز على موضوع معين ازدادت فرصته لاتقان ذلك الموضوع .
اما الرجل الذي لم يحرز المعرفة الكافية والبطيء في اللحاق بالموضوع فانه لن يستطيع التركيز على ذلك الموضوع لمدة طويلة ، ولهذا السبب يض محل شوقيه ويختفت اهتمامه بهذا الموضوع . ان قوة الذكاء تكمن في ان الرجل بفضل دراساته وتناوله الحديث والقديم للموضوع ذاته يعزز انتباذه ويقويه مرارا وتكرارا اي « يحفز ويثير » انتباذه .

ان الحقائق والمواضيع التي يركز الشخص فيها اهتمامه تبقى في ذاكرته مدة اطول . فالعالم باستقرار كان يتذكر جملة من الحقائق والتفاصيل القافية فدما يتعلق بعلم الاحياء الدنيا ، بيد أنه لم يتذكر بتفاصيل انجيلوس الشاعر الذي كان يقرأه يوميا مع زوجته .
واليكم ما قاله العالم النفسي الشهير وليم جيمس عن دور الميل والشوق :

« اغلب الناس يتمتعون بذاكرة قوية تجاه الحقائق المرتبطة بتجاربهم . فرياضي الجامعة الذي يبدو بليدا أمام الكتب سيد هشك بمعرفته عن « مقاييس » رجال

الرياضية في شتى مجالاتها وسيكون قاموسا حيما متحركا لللاحصاءات الرياضية . وسبب ذلك يرجع الى انه يستعيد ذلك في ذاكرته باستمرار ويقارن بعضه ببعض و يجعل منه سلسلة متدرجة . انه لا تشكل بالنسبة اليه أرقاما غريبة متباعدة احدها عن الاخر بل نظاما منسقا مفهوما - ولذلك فانها ترسخ في ذهنه . وكذلك يتذكر التاجر الاسعار ويتذكر السياسي خطب السياسيين الاخرين وأصواتهم بغزاره تدهش الرجال الذين لا دخل لهم في الموضوع ولكن مقدار الوقت الذي يصرفونه في التفكير بهذه القضايا يفسر ذلك بكل بساطة .

« ان الحقائق التي تحتويها ذاكرة العظاماء من امثال داروين وسبنسر والتي تبدو في كتاباتهم لا تنstem مع امتلاكهم دماغا ذا درجة متوسطة من القدرة الفسيولوجية على الحفظ . فليصمم رجل في مقتبل عمره على البرهنة على نظرية كنظرية التطور وسرعان ما تتجمع الحقائق لديه وتلتصق به التحاصق حبات العنبر في العنقود .

« ان علاقاتها بالنظرية ستمسكها بشدة : وكلما ازداد ما يستطيع الذهن ادراكه وتميزه منها ازدادت براعته .

وفي هذه الحالة قد لا تكون لدى النظري ذكريات مفككة مبعثرة أو قد تكون هذه قليلة جداً إن وجدت . وقد تمر الحقائق التي لا يمكن الاستفادة منها بذاكرته غير ملحوظة فتدخل من اذن لخروج من الاذن الثانية . وقد يتعارض في هذا الرجل جهل لا يقل عن عبقريته الانسكلوبيدية ويختفي في طيات شبكتها » . (مبادىء علم النفس بقلم وليم جيمس) .

ان الميل يثير الانتباه والانتباه شرط اولى للتذكر . فكل ذلك انعكاس للدور العظيم الذي يلعبه الميل والاهتمام ولذلك وجب على المرء عند اختياره مواد الدراسة أن يتناول اشوق المواضيع التي تهمه وأقربها إلى قلبه . وقد تكون هذه المواضيع بالنسبة للبعض النشاط الاجتماعي وبالنسبة للآخرين التكنولوجيا والآخرين الفنون . . . الخ .

ان اختيار هذا الميدان أو ذاك من ميادين المعرفة كأساس للدراسة لا يعني ان الرجل يجب أن لا يعيّر اهتماماً للميادين الأخرى ، بل بالعكس . فالمسألة الوحيدة هي كيف يجب أن يتناول الميادين الأخرى .

خذوا مثلاً تلميذين : أولهما يميل إلى التكنولوجيا

والآخر الى العلوم الاجتماعية . فكلاهما يجب أن يدرس الكهربة مثلا . ولكن كل منهما يتناول الموضوع بطريقته الخاصة . فالטכנيكي سيدرس المسألة من وجهة نظر التسهيلات التكنيكية الازمة للكهربة جمهورية روسيا السوفياتية الاشتراكية الاتحادية . وستكون هذه النقطة بؤرة تجتمع فيها كل دراساته . بيد أنه عند وضع المشاريع لشبكة التسهيلات الضرورية سيدخل في حساباته ايضا الظروف الاجتماعية التي تقدم خير المساعدة لبناء هذه الشبكة . وهنا ستؤدي به ميوله الخاصة الى دراسة الظروف الاجتماعية .

اما الطالب الذي يميل الى دراسة العلوم الاجتماعية فسيتناول القضية من زاويته الاجتماعية : فالكهرباء لا غنى عنها باعتبارها أساسا ماديا للنظام السوفياتي . ولكنه كيما يقرر ما اذا كان من الممكن كهربة روسيا الاتحادية ام لا ، عليه أن يتعرف على الكهربائية والاجهزة الكهربائية الخ .

فليس من العيب ان تكون اكثر الكتب الشعبية في بلادنا موضوع الكهربة ، والذي يصلح لأن يكون كتاب دراسيا ممتازا يكون قد كتبه عامل اجتماعي عادي

(يـ . ستيبانوف) لا مهندس كهربائي . يرينا هذا المثل ان الميول لا تعين محتوى المعرفة المكتسبة بقدر ما تعين كيفية تناول تلك المعرفة ، أي النواة التي تدور حولها شتى انواع المعرفة الاخرى .

« كل فكرة جديدة وكل شعاع من اشعة المعرفة يجب أن يرتبط بالمعرفة والافكار التي بحوزة الطالب أو « يهضم ويمثل » ، كما يقول العلماء النفسيون . فالجديد يجب أن يتعلق بالقديم ، ان جاز لنا أن نستعمل هذا التعبير » .

ويقول وليم جيمس مؤكدا « ... ليس أسر وأبهج من هضم الجديد وتمثله من قبل القديم ومجابهه أي غاز يهدد أو يخترق سلسلة افكارنا المعروفة عند هجومه ، والنظر في غرابتـه ثم وسمـه باسمـة صديـق قديـم متذـكر بـزيـجـيد . ان هذا التـمثل للـجـديـد من قبل القـديـم فـي الـوـاقـع طـابـع كـل بـهـجـة ثـقـافـية . ان شـهـوـة ذـلـك هـي الفـضـول بـعيـنه . ان عـلـاقـة الجـديـد بالـقـديـم قـبـل انجـاز هـضمـهـوـتمـثلـه هوـ العـجـب وـالـدهـشـة . فـلسـنـا نـشـعـر بـالـعـجـب اوـ الفـضـول بـخـصـوصـ الاـشـيـاء الـبعـيدة عنـ ذـهـنـنا بـحيـث لاـ يـوجـدـ بـيـنـ

أفكارنا ما يمت إليها بصلة ولا بين مقاييسنا ما نستطيع
أن نقيسها به » .

وقد أورد جيمس على كلامه مثلاً مقتبساً من داروين
فقال إن الفيزييين حين رأوا داروين تعجبوا من القوارب
الصغيرة ولكنهم لم يتعجبوا من السفن الكبيرة .

فليس يثير ظمآن المراء إلى زيادة المعرفة سوى الموضوع
الذى يعرف عنه قليلاً . يواصل جيمس فيقول « إن المثل
العظيم الشائع في علم التربية هو أن نربط كل شعاع
جديد من أشعة المعرفة بفضل موجود من قبل ، أي تمثل
مادته بطريقة ما من قبل المعرفة المتوفرة من قبل . ومن
هنا تنشأ فائدة مقارنة كل ما هو بعيد غريب بشيء قريب
مألف ، وبتوسيع المجهول بأمثلة من الأشياء المعروفة
وبربط تعليم التلاميذ بخبرهم الشخصية .

« فلو أراد المعلم أن يشرح ويوضح لתלמידه بعد
الشمس عن الأرض ، عليه أن يسأل : « اذا أراد احدهم
أن يطلق عليكم مدفعه من الشمس فماذا تفعلون ؟
وسيكون الجواب : نتنحى عن الطريق . وعلى المعلم أن
يجيب الإجابة لذلك ، بإمكانكم أن تذهبوا بهدوء إلى

فراشكم وتناموا ملء جفونكم ، ثم تستيقظوا ثانية ثم تنتظرون حتى يوم تعميدكم بل بامكانكم ان تتعلموا مهنة وأن تكبروا حتى تبلغوا عمري – وحينئذ فقط ستقترب قذيفة المدفع لحينئذ بامكانكم أن تقفزوا جانباً لتجنبوها ! أترؤن ؟ الى هذا الحد تبعد الشمس عن الارض ! » ، (مبادئ علم النفس بقلم وليم جيمس) .

ربط المعرفة المكتسبة حديثاً مع المعرفة المتوفرة سابقاً، والاعتماد على ذلك – تلك هي القاعدة التي يجب أن يسير الشخص على ضوئها في اختيار المادة الضرورية للدراسة . فليست المسألة الموضوعة البحث هي الخلط بين مختلف العلوم ولا أن يصبح المرء انسكلاوبيديا متنقلة، بل المسألة هي أن يعمل الإنسان على إكمال المعرفة لديه وربط المعرفة المكتسبة حديثاً بالمعرفة المتوفرة من قبل . ولذلك فالمسألة هي أخذ الميل كأساس ، ثم تعزيز هذا الميل بصورة مستمرة .

وليس المهم أن تتوفر لدى الإنسان المعرفة وحسب ، بل المهم أيضاً أن تنسب هذه المعرفة تنسيقاً صحيحاً .

وكلمة « التثقيف » في هذه الحالة تعني نسج نسيج

كامل من الافكار الجديدة حول نواة الافكار التي يحملها الانسان ، على أن تكون هذه الافكار الجديدة ، وثيقة الصلة بالنواة .

فمن الم واضح جداً أن الفلاح والعامل يرتشفان المعرفة، كل بطريقته الخاصة لأن تجاربهم في الحياة وافقهما في المعرفة مختلفان متباينان .

و غالباً ما تنسى هذه النقطة عند وضع مناهج شتى الدورات ومدارس البالغين ، فلا تؤخذ في الحسبان عادة مستويات الطلاب المتباعدة . ولن يستدعي هنا مقدار المعرفة بل نظام وشكل تقديم هذه المعرفة .

ان الكتاب هو الاداة الاساسية في اتقان أي موضوع . انه يلعب دوراً استثنائياً في الحياة المعاصرة وفي الثقافة المعاصرة . « فالثقافة البشرية وراثية ، وتمثل تراكم الخبر والمعرفة والاختراعات . ولو لم تكن كذلك ، ولو كان على كل جيل أن يبدأ من خدش الحجر لما تقدم الانسان أبعد من حالته البدائية . والخبرة والمعرفة تنتقلان من جيل إلى جيل بواسطة الكتب . فالكتاب يالذات هو الذي يبلور رأسمايل المعرفة الذي ينتقل من جيل لآخر

والذى يفنيه كل جيل والذى تزداد سرعة ذموه باطراد
وهذا مما يعجل بتقدم الانسانية » .
(أ) بوكردفسكي . المكتبات وعملها)

لذلك من الضروري جداً أن نتعلم كيف نستعمل الكتب
 وأن نربي لدينا عادة القراءة كثيراً وسريعاً . من
الضروري أن نتعلم القراءة بصورة اوتوماتيكية اطلاقاً
دون أن تحيد افكارنا عن القراءة .

بيد أن هذا لا يكفي . بل يجب أن يفهم القارئ ما
يقرأ . وهذا أصعب كثيراً ، لأنّه يتطلب بعض الموهبة
ويتطلب افقاً أوسع واحتياطياً كبيراً من الكلمات والافكار .

وكلما نضج الإنسان بسرعة كان أسرع في فهم
ما يقرأ ، بيد أن على المرء أن يعرف كيف يفرق بين ما
يفهمه وما لم يفهمه ، وكيف يحل الأجزاء الغامضة مما
قرأ ، والطريقة المثلث هي إعادة قراءة الموضوع والتعمق
في الكلمات والافكار والتعابير غير المفهومة ، ومن أجل
ذلك يجب أن يرجع الإنسان إلى القواقيس السياسية
والانسكلوبيديات والكتب الدراسية والكتب الشعبية
المتعلقة بالموضوع الخ . وإذا ما صعبت معاني الكلمات

فمن المفضل كتابة واستذكار العبارة التي وردت فيها تلك الكلمة بأكملها والتفكير في عدد من العبارات المشابهة التي تدخل فيها تلك الكلمة . وباختصار على المرء أن يقلد الأطفال في هذا . اتذكر اني كنت اراقب فتاة في السادسة من عمرها ، كانت قد سمعت لأول مرة في حياتها بالكلمة «وقتيا» . لقد كررتها في النصف الساعة التالية اكثر من عشر مرات وبعبارات مختلفة . وقد فعلت ذلك دون وعي منها بالمطبع . فعلى الشاب أو الرائد ان يتبع نفس الاسلوب ليتعلم كيف يستخدم الكلمات التي لم يكن يعرفها بصورة اوتوماتيكية عندما تقتضي الحاجة استعمالها . والشيء الرئيسي هو أن يضبط معناها الصحيح ومفهومها الدقيق وأن يحذر من استخدامها بصورة مخطوئة .

ان هذا التنقib عن معنى التعبير والكلمات غير المعروفة ، يحرف بطبيعة الحال ذهن القارئ عن فكرة الكتاب الرئيسية ، ولتجنب ذلك على المرء أن يسعى الى اتقان اللغة الادبية بأسرع ما يمكن وأن يتعلم استخدامها بصورة اوتوماتيكية .

ومما لا غنى عنه ايضاً فهم القارئ للموضوع الذي

قراءه وهنا يجب اتباع نظام معين .

أولا ، عندما ينهي شخص قراءة كتاب (وفي البداية من المفضل أن يفعل القارئ هذا بعد قراءة كل فصل من فصول الكتاب) يجب أن يحلل مقاصد الكاتب ، أي فكرته الرئيسية والحجج التي يدللي بها في تأييد فكرته هذه . فمن المهم جدا أن يتصور القارئ بوضوح سير افكار الكاتب . فالفهم الصحيح هو الخطوة الاولى لقتبع الكتاب تتبعا واعيا .

وقد يحدث ان يصعب على القارئ ادراك ما يريد الكاتب ان يقول فيضطر الى قراءة الكتاب من جديد مثني أو ثلاث أحيانا . عند محاولة المرء تحليل ما قرأه يجب الا يحاول تذكر كل الامور التفصيلية القافية أو كل كلمة . فان الضرر من هذا اكثـر من فائدته . بل ان ما يجب أن يحاوله المرء هو ان يمسك بالنقاط الجوهرية ، أي النقاط الرئيسية ، ويفحص النقاط التي تسندها . وقد يورد الكاتب احيانا بعض الواقعـع التي توضح آراءه أو قد يدلـلي بحجـج تؤـيد هذه الآراء . وأفضل شيء بعد القراءة هو ان يضع القارئ مخططا مكتوبا لما قرأه . بيد ان هذا كله يتطلب تدريبا طويلا .

ثم ان على القارئ أن يهضم محتويات الكتاب . وأن اوضحت الفكرة الرئيسية بالواقع ، فيجب أن يرى المرء أولاً ما اذا كان عرض هذه الواقع عرضاً صحيحاً ، وثانياً ما اذا كانت هذه الواقع نموذجية بدرجة كافية . وعلى المرء أن يحاول في وقائع مشابهة أو وقائع معاكسة لها تماماً ، وحين يدلي الكاتب ببعض الدليل لتأييد فكرته ، فعلى القارئ أن يحاول وضع حجة أخرى وأن يقارن بين الحجتين ويقرر أيهما أوضح وأدق . وعلى المرء كذلك أن يبحث عن طريقة أخرى لتناول المسألة . وبعد أن يكون القارئ قد فعل كل ذلك يجب أن يقرر ما إذا كان متفقاً مع الكاتب أم لا ، وفي أي النقاط يتفق معه أو يخالفه .

عند قراءة كتاب ما على المرء أن يسجل ما يريده ويجب أن يتذكر التواريخ والأسماء والأرقام . وقد يكون من المفيد في الغالب تخطيط جدول على أساس هذه الأرقام كيما تتكون لدى المرء صورة أوضح مما قرأ . وكذلك من الضروري أن يسجل القارئ كل الأفكار والتعابير التي يحبها . يُنصح أن على المرء أن يتتجنب الاقتباسات الطويلة التي لا يقل فهمها عن فهم الكتاب صعوبة . يجب أن لا يسجل المرء إلا ما هو جوهري

ويسجلها كآراء وفي نفس تسلسل ورودها في الكتاب .
ويجب كتابتها كتابة واضحة مفهومة .

أما الدفاتر الضخمة التي يصرف فيها القارئ وقتا طويلا فتكتب فيها مقتبسات طويلة لا يعرف حتى صاحب الدفتر أولها من آخرها فعديمة الفائدة تقريبا . ومن الناحية الثانية فان الدفاتر ذات المقتبسات المسبوكة الموجزة الدقيقة والمفهومة ، المقتبسات التي تذكر القارئ حالا بما قرأ وتمكنه من توجيه نفسه بواسطه الارقام والمواد الاخرى تفيد فائدة جمة . فهكذا يجب أن يتعلم القارئ الاقتباس من الكتب . وعلى المرء أن يتدرّب على ذلك دون أن يفرط بوقته ، فيبدأ في مقالات صغيرة وينمي في نفسه تدريجيا عادة عمل هذه الاشياء بطريقة تقتضي الوقت ايما اقتصاد .

وفي حالات معينة يكون من المفيد طبعا اقتباس قطع مطولة . فان كان الكتاب شيئا وهاما بشكل خاص على المرء أن لا يبخل بالوقت اللازم لتسجيل مقتبسات مطولة وفي اقتباس عبارات بكمالها . ويجب أن يفعل المرء ذلك ان كان في نيته أن يقتبس من الكتاب مقالا أو تقريرا .

كذلك من المفيد كتابة مقتبسات طويلة حين لا يكون المرء قد اتقن فن الكتابة أو الاملاء أو اللغة الأدبية . فالاستنساخ في مثل هذه الحالات مفید جداً . ومن الأفضل استنساخ ما يلذ القارئ وما يتعلق بما قرأه . وهذا أكثر ثمرة من استنساخ أي شيء آخر .

ولكن من الأفضل عادة كتابة مقتبسات قصيرة ودقيقة ومضبوطة .

وهكذا فإن الواجب الأول هو أن يصبح الموضوع الذي قرأه المرء واضحًا وأن يتلقنه .

والواجب الثاني هو هضم القارئ لما قرأ .

والواجب الثالث هو كتابة المقتبسات الضرورية .

والواجب الآخر هو تقرير ما إذا كان الكتاب قد قدم للقارئ معرفة جديدة ، وما إذا كانت هذه المعرفة ضرورية ومفيدة وما إذا كانت قد علمته أساليب جديدة لللحظة والعمل والدراسة وما إذا حفظت بعض أجزائه ورغباته .

وبذلك تكون قد وضعنا خطة أو مشروعًا لدراسة
كتاب .

وهذه الخطة يمكن تحريرها طبعاً ويمكن صياغة
مسائلها بطريقة أخرى . ففي دراسة الرياضيات أو
العلوم الطبيعية مثلاً يحتمل أننا لا نستعمل سوى جزء
من هذه الخطة . والمهم هو أن تكون لنا خطة محددة ،
فذلك يزيد من ثمرة عملنا ، فالنظام يلعب دوراً هاماً
للغاية في أي عمل . فكثيراً ما يتاح للمرء أن يرى ما لا
يراه الآخرون . مثلاً ، نعلم أن نابليون عندما كان
يستعرض جيوشه كان يلاحظ أبسط ارتباط في قيافة
الجنود ، مما يعجز ضباطه عن كشفه مهما بذلوا من
محاولات قبل الاستعراض . والجواب على ذلك بسيط :
كان لナابليون نظاماً معيناً في استعراض جيوشه وهذا
يمكنه من ملاحظة كافة النواقص والخطاء .

ولنر كيف يتناول مختلف الأخصائيين موضوعاً معيناً
فكل منهج له نظامه الخاص في الملاحظة . فالفنان مثلاً
ينظر إلى النبات من وجهة نظر ألوانه وبهائه وانعكاسات
أنواره ورشاقته . وحين ينظر الفنان إلى النبات غالباً
ما يتجاهل عدد الأسدية في زهرته وكيفية توزيع هذه

الاسدية - اذ ان هذا لا يؤلف جزءا من نظام ملاحظاته .
اما عالم النبات فالعكس من ذلك ، ينظر اول ما ينظر الى
الاسدية والوراق الخ . ويتجاهل كل التجاهل انعكاس
النور على الازهار في تلك اللحظة وكيف يبدو في هذا
المنظر او ذاك . والشيء ذاته يحدث في القراءة : ان
أهم شيء هو كيفية تناول الموضوع . فقد يلحظ المرء ما
يخطئه الآخرون لو تناولوا الكتاب من زاوية أخرى .
وان التناول المعين للكتاب يصبح عادة شيئا فشيئا .

ان الكتب تقدم لنا المعرفة وتعرفنا على خبر الاخرين .
ولكننا نستطيع اتقان هذه المعرفة اتقانا افضل لو
اخبرناها بتجاربنا الخاصة . اقرأ : «خلال العاصفة
يبدو البحر منظرا خلابا ورائعا» . ولذلك لو رأيته بعينيك
لكان ذلك شيئا يختلف عن القراءة كل الاختلاف . فاننا
نقرأ مثلا ان المكائن تقلل من وقت الانتاج ولكن لا يقدر
هذه الحقيقة حق قدرها سوى اولئك الذين انتجوا
البضائع أول الامر بآيديهم ثم بالمكائن . كما ان القراءة
عن عملية جراحية (في العين أو في الاذن) أمر يختلف
كل الاختلاف عن اجراء تلك العملية .

لذلك فان الرجل المجرب ، الرجل الذي رأى الناس

وطقوسهم وعاداتهم غالباً ما يعرف الحياة خيراً من
رجل قد يكون أكثر منه موهبة ولكنه أقل منه ملاحظة .
وليس من قبيل الصدف أن نتحدث باجلال عن طبيب
«ذي خبرة» أو معلم «ذي خبرة» الخ .

كانت في العصور الوسطى عادة شديدة وملهمة جداً .
فلم يكن يسمح للعامل المياوم أن يصبح خلفه بعد أن
ينهي دورة التجربة إلا بعد أن يقضي مدة معينة في السفر
فيزور فيها المدن الأخرى ويعمل لدى شتى الحرفيين ويرى
كيف يعيش ويعمل أترابه في المهنة في الحالات الأخرى .

لذلك فمن المهم جداً أن يختبر الرجل الذي يمارس
التنقيف الذاتي المعرفة التي اكتسبها من الكتب ويمتحنها
وفق ملاحظاته وتجاربه .

ومن الأمور الفعالة في هذا المضمار زيارات المتاحف
والمعارض الزراعية والصناعية ، والمزارع النموذجية
والمعامل . كما أنها يجب أن تستفيد من السفرات استفادة

.....

(١) العامل الذي يشتغل يومياً . واستعملت كلمة المياوم من
المداوم يومياً .

واسعة بيد اننا يجب أن نضمن أن يكون سلوكنا في هذا سلوك رجل الاعمال وأن لا تتحول سفراتنا إلى نزهات . يجب أن نسجل مذكرات عن مشاهداتنا ونضع جداول (ان كنا نعرف ذلك) ونكتب انطباعاتنا . يجب أن نستفيد من كل فرصة للسفر لزيارة اماكن جديدة ورؤيه ناس جدد والاطلاع على اسلوب حياتهم واسلوب عملهم . فحتى الحياة العاديه تقدم مواد غنية للملاحظة والدراسة بيد ان على المرء أن يضع الخطة مقدما لما يريد أن يراه ولماذا يريد أن يراه ومن ثم ينفذ هذه الخطة ويستخلص الاستنتاجات الضروريه منها .

ان هذا العمل سيكون اكثر حيـاة وأغزر ثمرا لو انكبت عليه جماعة كاملة . فان ذلك يتيح للمساهمين به أن يتناقشوا حول ملاحظاتهم وبما ان كلا منهم يتناول الامور بطريقته ، ومن زاوية مختلفة فستكون النتيجة دراسة للمسألة من جميع الوجوه ، واكثر من ذلك ان المجموعة ترى امورا كثيرة قد يعجز الفرد عن رؤيتها .

اقتصردوا الوقت والطاقة

ان الامريكيين ناس عمليين وهم دائما يقولون : « الوقت نقود » . ولديهم فرع كامل من فروع الادب -

ولسوء الحظ اننا نحن الروسيين لا نعرف عنه الا القليل
- يعالج تنظيم الدراسات في المدارس العالمية والكليات
ويثير الدرب امام الشباب الامريكيين ليりيهم كيف
يقتضون الطاقة ويجتازون اقصر الطرق للنجاح . ان
الشاب الامريكي يدرس ذلك جيدا وعلينا نحن ايضا ان
نتعلم .

فلسنا في الوقت الحاضر في وضع يسمح لنا بتبذير
وقتنا وطاقة اتنا . فاننا نعيش على حدود نظامين
اجتماعيين : فالنظام الرأسمالي القديم مشرف على
الموت والنظام الشيوعي الجديد سائر نحو النمو . وليس
باستطاعتنا أن نعيش الان كما عاش آباءنا واجدادنا .
فكل يوم يجيء لنا بالجديد فيترتب علينا أن نراه ونحكم
عليه ونقرر رأينا فيه . ولكي نفعل كل ذلك على الوجه
الصحيح يجب أن نعرف الكثير .

وهذا يصح عن الطبقة العاملة عموما وعلى كل
عامل خصوصا . فليس لدينا الوقت الكافي للعمل
الهويانا ، وأكمامنا مرتبية على أيدينا . فعلينا أن ندرس
دراسة اقتصادية ، أي بأقصى سرعة ممكنة .

لقد حتم التاريخ على روسيا - وهي بلد متاخر نسبيا

- أن تكون أول دولة ترفع راية الثورة الاشتراكية وأن تبقيها خفافةً منذ خمس سنوات^(١) . فعليها أن تقوى أساسها المادي أن هي أرادت أن تواصل السير في طريقها باعتبارها معقل الثورة العالمية . ولكي تحقق ذلك عليها أن تدرس بحماس ودون توقف ، مقتضدة من الوقت والطاقة أقصى ما يمكن اقتصاده .

فالحياة ذاتها تدل الشاب العامل أو الفلاح على هذا الاقتصاد فالعامل أو الفلاح يقضي طيلة وقته كادحا . وليس له من الوقت ما يكرسه للتحقيق الذاتي إلا القليل .

وهذا فان الساعة التاريخية التي نعيشها ووضع روسيا الخاص وظروف حياة الأغلبية الساحقة لطلابنا يتطلب منا الاقتصاد في الوقت والطاقة اقتصادا صارما .

ولكي نحقق ذلك فان الامور التالية لا غنى عنها :

- أ - تنظيم وقتنا تنظيما صحيحا .
- ب - خلق أنساب ظروف عمل ممكنة .

(١) كتب هذا البحث في عام ١٩٢٢ .

- ج - اكتساب العادات المضورية لدراسة الكتب .
 - د - اختيار المواد المناسبة للدراسة .
 - ه - توزيع عملنا توزيعاً مناسباً .
 - و - ابتكار اشكال من العمل الجماعي لغرض اقتصاد الوقت والطاقة .
 - ز - أن تكون تحت تصرفنا العوامل المساعدة والتعليمات المضورية .
 - أ - ولان فلنبدأ بتنظيم الوقت .
- واضح اننا لو أردنا أن نصرف وقتنا بشكل مثمر علينا أن نعرف كيف ننظمه تنظيماً صحيحاً . فكيف نصرف وقتنا عادة ؟

اننا لا نعمل ساعات منتظمة إلا في المعامل أو الدوائر . أما باقي أوقاتنا فنصرفها كيما اتفق : نتجاذب الأحاديث مع الأصدقاء ونستلقي في الفراش ونقرأ قصصا سخيفة الخ . ثم ندرك في المساء كم بذرنا من الوقت فنمسك كتاباً مفيداً - ولكنك حينذاك - تجد نفسك منهاكاً . ولكي تبقى مستيقظاً تدخن سيجارة بعد أخرى وتترك كتابك

جانباً وتتكلّم أو تناقش مع أحد الأصدقاء حتى الفجر
تقريباً . وفي الصباح تستيقظ خاماً منهاكاً .

ان الأجانب يعرفون قيمة الوقت . فالعلماء والكتاب
والأساتذة ينامون مبكرين ويستيقظون مبكرين ويعملون
حين يشعرون بالنشاط ولا يزورون أصدقائهم الا نادراً
وينظمون أوقاتهم بدقة . فهيم يعيّنون ساعة منتظمة
للنهوض من النوم والعمل والغذاء والراحة .

من الشيق جداً أن نرى كيف نظم مشاهير العلماء
والكتاب أوقاتهم .

وللأخذ تولstoi مثلاً . لقد كتب قصصاً صغيرة
وكبيرة - وهي أشياء تعتمد كلها على مزاج الفرد ، ومع
ذلك فقد كان وقته منظماً أدق تنظيم . فقد كان يعمل
الكثير كل صباح ، يكتب شيئاً ويعيد كتابته من جديد
مراراً وتكراراً . والكاتب لا يمكن أن يعيش كالناس
المتعدد : فهو يجب أن يجتمع بالناس ويزر كييف يعيشون
فقد خصص تولstoi وقتاً لهذا أيضاً والى القراءة الخ .

لقد وصف هذا الجانب من حياة تولstoi وصفاً

جيدا في كتاب سرجييتوكو كيف يعيش ليو تولستوي وكيف يعمل .

وقد اتبع نفس هذا النظام اميل زولا ايضا ، وهو الذي كتب عددا عظيما من القصص يصف فيها مختلف طبقات المجتمع الرأسمالي ، فقد تعود زولا أن يستيقظ في الساعة السادسة صباحا وكان تولستوي يكتب كل صباح ويصرف بعض الوقت في دراسة الطبقات الاجتماعية التي كان يكتب عنها .

وأخذوا قصص حياة الموسيقيين العظام ، ولتكن حياة بتهوفن مثلا وستجدونكم من الوقت كان يصرف في المعرف على البيانو وكيف نظم وقته تنظيميا دقيقا .

والعلماء الطبيعيون والاطباء اكثر من السابقين دقة في تنفسهم او قاتهم وهم الذين يعملون بالمجهر والمخبرات او يهون البحوث التشريحية . ومن المفيد ان يقرأ الانسان مثلا عن حياة اديسون او باستور او غيرهم من العلماء .

و، اتبع الجراح الشهير كوخر جدول معينا يوما بعد

يوم حتى بعد شيخوخته : فكان يذهب الى الفراش في ساعة معينة ويلعب التنس لتمرين يديه على العمليات الخ .

وثمة آلاف من الأمثلة المشابهة . وعلى من اراد النجاح ان ينظم وقته بكل عناء وان يقتصر فيه ايمانا اقتصاد .

ب - ومن متطلبات العمل السلس ايضا دون تبذير الوقت والمطاقة خلق افضل وضع ممكن للعمل .

واهم شيء هو ان يكون المرء نشيطا مستعدا للعمل . فالرجل المتعب المذهب ي يعمل ببطء وي العمل عملا رديئا . وانسب ساعات العمل بالطبع هي ساعات الصباح ففي الصباح ي العمل الانسان العادي افضل من اي وقت آخر . فان كان الشخص مجبرا على العمل من الصباح الباكر فسيجد صعوبة طبعا في توفير بعض الوقت للدراسة صباحا اما اذا بدأ عمل الشخص المivoهي في العاشرة او الحادية عشرة صباحا فان ساعات الصباح يجب الاستفادة منها . بيد ان السهر الطويل غالبا ما يخرب كل شيء وهذا ما يجب تصحیحه . فامدراسة المسائية

اكثر ازعاجا . اذ ان الشخص يضطر الى شرب الشاي وتدخين السكاير والمناقشة رغبة منه في دفع النعاس عن عينيه – والنتيجة هي الانهيار السريع وتدهور الكفاءة على العمل .

والشرط الثاني هو الهواء النقي . فالعقل لا يعمل عملا نشيطا طيبا الا اذا كان القلب نشيطا وهذا يتطلب الهواء النقي . ويجب ان لا يكون جو الغرفة حارا جدا او وحما . وقبل البدء بالعمل يجب فتح النوافذ وتهوية الغرفة . فالغرفة المملوءة بدخان السكاير والبخار تجعل العمل شاقا للغاية .

والشرط المناسب الآخر هو عدم وجود اي شيء يجلب انتباه الشخص اثناء العمل . فليس بامكانك ان تدرس في الضوضاء ، وحين يتحدث الناس او حين يقاطعك الناس باستمرار بقضاياها تافهة ، من الضروري ان تتعلم احترام سلم الناس واطمئنانهم فلا نضج ونصر ونتحادث عندما يدرس الآخرون . كذلك يجب ان يتعلم المرء كيف يدرس في مكتبة او في ناد . وليس في المكتبة ما يصرف ذهن الشخص . اضعف الى ذلك توفر في المكاتب الكتب الجامعية والمصادر والكتب والاطالس

والكتب الدراسية وكل ما يحتاجه الشخص لمساعدته على
الدراسة الجدية .

صحيح ان بين الناس من يستطيع الدراسة حتى في
اكثر الحالات صخبا وضجيجا ولكنهم لا يستطيعون ذلك
 الا حين يكونون منهمكين بحيث لا يعيرون اهتماما لكل
 ما يجري حولهم . يقال عن ارخيميدس المهندسي
 الاغريقي كان منغمرا في مخططاته الى درجة انه حين
 هجم على بيته احد جنود الاعداء لم يقل له شيئا سوى :
 « لا تمس دوائي » . ولكن ليس بمقدور كل شخص ان
 ينغمرا في دراسته لدرجة لا يرى معها كل ما يجري حوله
 ولذلك كان من الافضل ان لا يزعجه احد . ولكي يكون
 الطالب ناجحا يجب ان لا يدع الافكار الاخرى تقاطعه بين
 حين وآخر والا لكان شأنه شأن يفجيني او نيجين الذي
 كتب عنه بوشكين :

ولو ان عينيه كانتا تقرآن
فان افكاره كانت بعيدة جدا ٠٠٠

ولذلك فان من الافضل الدراسة في الصباح اذ ان
 انطباعات اليوم السابق تزول وتختفي ولم توجد بعد

انطباعات جديدة تقطع على المرء سلامه واطمئنانه .
و اذا افتقر المرء الى السلام ولم ير في نفسه الرغبة الى
الدراسة ، فمن الضروري رفع معنويته وتحسين مزاجه :
اقطع المغرفة ذهابا وايابا ، او اصفر اغنية تحبها ، او
انعش نفسك . او اقرأ صحفة او صفحتين لأحد كتابك
المفضلين او افعل شيئا آخر من هذا القبيل .

ج - اذا اراد الشخص ان يكون ناجحا في عمله فعليه
ان يكتسب العادات المضروبة لدراسة المكتب .

ومن هذه العادات معرفة القراءة والكتابة والحساب
وفهم الخرائط الخ . فعلى المرء ان يتعلم القراءة الصامتة
الكثيرة والسريعة ، واخذ الملاحظات الدقيقة الموجزة
وتناول الكتاب لهدف معين : ويطور المرء هذه العادات
بغية العمل على ان لا يبذل الوقت والمطاقة .

فالعادة تحرر الذهن وتتركه للتفكير والامعان .
فاكثر الافعال لدى الحيوانات تلقائية . والانسان يولد
ولديه ميل الى ان يفعل اكثر مما تهيئه مراكزه العصبية
للعمل مقدما . وعدد الافعال التلقائية عند المبالغين من
الكثرة بحيث ان اغلبها يجب ان يكون ثمرة دراسة

مريرة . ولو لم تكتمل هذه الافعال بالتمرين او لو لم تقتصر العادات مقدارا من الطاقة العصبية والعضلية لكان الانسان في محنـة شديدة حقا . يقول هنري موديـي وهو على حق : « لو لم يصبح العمل اكـثر سهولة بعد تكراره عدة مرات ، ولو كان من الضروري بذل التوجيه المـواعي الدقيق عند انجازها في كل مـرة فـمن الواضح ان نشاط الحياة برمته كان سيقتصر على عملية او عمليتين ولـما امـكن احـراز التـقدم نـتيجة التـطور . ولا نـشغل المرء طـيلة يومـه في لـبس وخلـع مـلابـسـه : ولـشـغل قـوام جـسمـه وـشـكل وـقـفـته كل اـنتـباـهـه وـطـاقـته ، ولـكان غـسل يـديـه او تـزـيرـir احد اـزرـارـه عـمـلاـ شـاقـاـ في كل مـرـةـ شـائـنـهـ في ذلك شـائـنـ الطـفلـ عند تـجـربـةـ هذاـ العـملـ لأـولـ مرـةـ . وـسيـكونـ اـضـافـةـ لـذـلـكـ مـنـهـكـاـ نـتـيـجـةـ مـجـهـودـاتـ ٠٠٠ـ فـبـينـماـ تـنـجـزـ الـافـعـالـ التـلـقـائـيـةـ الثـانـوـيـةـ بـقـلـيلـ مـنـ التـعبـ نـسـبـيـاـ وـهـيـ فيـ هـذـاـ المـضـمـارـ تـقـرـبـ مـنـ الـحرـكـاتـ الـعـضـوـيـةـ اوـ الـافـعـالـ الـانـعـكـاسـيـةـ الـاـصـلـيـةـ - فـانـ الـجـهـودـ الـمـواـعـيـ للـلـارـادـةـ سـرـعـانـ ماـ يـؤـدـيـ الىـ الـانـهـاكـ » . (مـبـادـىـءـ عـلـمـ الـنـفـسـ بـقـلمـ وـلـيمـ جـيـمـسـ) .

نعلمـ كـمـ تـصـعـبـ تـهـجـئـةـ الـكـلـمـاتـ عـلـىـ الرـجـلـ الـأـمـيـ ،ـ وـكـمـ يـصـعـبـ التـوـقـيـعـ أـحـيـاـنـاـ عـلـىـ الشـخـصـ نـصـفـ الـأـمـيـ ،ـ

وكم يبذل من الوقت والجهود ليكتب اسمه . من الواضح ان هذه العمليات كلها تستوجب كل انتباهه وانه لا يستطيع التركيز على ما يقرأ . فكل جهوده تبذل على ضبط التكنيك . لذلك يجب على المرء ان يطور العادات ويجعلها تلقائية . وبدون ذلك تصبح الدراسة مستحيلة .

د - سبق لنا ان تحدثنا عن اختيار المواد من وجهة نظر اقتصاد الوقت والطاقة . ولا نحتاج هنا الا ان نكرر ما قلناه سابقا بكلمات موجزة .

علينا ان نتناول الموضوع الذي نستطيع استيعابه : الكتب المكتوبة بلغة شعبية وليس كتب الاختصاص التي تتطلب تدريبا خاصا . و اذا كان يجب قراءة الكتب الاخيرة فعلينا ان نكتسب بعض المعرفة الضرورية قبل ذلك . فتناول موضوع لا نستطيع ادراكه تبذير واضح للوقت والطاقة .

ويجب ان نختار من المعرفة البشرية كلها المواقع ذات الأهمية الخاصة ، اي المواقع الجوهرية التي يتطلبها فهم بيئتنا وتعلم تحويل هذه البيئة . فليس لدى

العامل والمفلاح من الوقت والمطاقة ما يثيره على المواضيع التافهة .

وعند دراسة المرء موضوعا يجب ان يختار طبعا خير ما يتوفّر من الكتب في ذلك الموضوع ، الكتب التي تشرح هذا الموضوع شرعا وافيا عميقا وصحيحا . وعلى المرء اخيرا ان يبدأ بموضوع يكون اقرب المواضيع الى قلبه وان يوسع افق معرفته تدريجيا وان يتقن اهم فروعها وبذلك يشيد النواة الأولية لمعرفته .

هـ - على المرء ان يتعلم العمل وفق خطة موضوعة مقدما . فالرجل غير المُجرب يحاول عادة ان يفعل عدة اشياء في وقت واحد : فيأخذ كتابا ، ثم يتركه ليتناول الآخر ، وينتقل من موضوع الى آخر دون ان يتقن اي من هذه المواضيع . هذا الاسلوب ليس مثمنا ولا اقتصاديا . فعلى المرء ان لا يقفز من موضوع لآخر ، بل عليه ان يضع لنفسه هدفا معينا – ويجب ان لا يكون هذا الموضوع بعيد المنال او واسعا بل ملموسا ومحدودا . ولنفرض مثلا ان الشخص يريد دراسة الرأسمالية . اذه موضوع واسع للغاية . وكيفما يستطيع المرء اتقانه يجب ان يقسمه الى سلسلة من المواضيع المحدودة ثم نختار

واحدا من هذه المواضيع - ول يكن مثلا الرأسمالية الحديثة . ثم ان على المرء ان يقسم هذا الموضوع ايضا: فيبدأ مثلا السير في هذا الطريق فيختار مثلا وضع الطبقة العاملة البريطانية في المرحلة الحالية من مراحل الرأسمالية . ويجب ان لا ينتقل الى الموضوع الملمس التالي الا بعد ان يتقن هذا الواجب المحدد وهكذا دواليك . هذه خير طريقة لاتقان الموضوع من وجهة نظر اقتصاد المؤقت والطاقة . ولسكي يضع المرء مثل هذه الخطة يجب ان تكون لديه فكرة عن الموضوع ككل ولو كانت فكرة عامة .

لقد قال المهندس الامريكي الشهير فردرريك تايلر في محضمار جديته عن تنظيم العمل ان كل مستخدم وكل عامل يجب ان توكل اليه مهمة معينة . ثم يقول « وكلما انخفض مستوى عقل الفرد وشخصيته ازدادت الضرورة الى ان يستغرق كل واجب فترة زمنية قصيرة فقط . فليس بين المعلمين من يفكر بالطلب الى الاطفال ان يدرسوا كتابا معينا او موضوعا معينا دراسة عامة ، فمن المأثور في كل مكان عمليا تخصيص درس معين لكل يوم يبدأ بسطر معين من الصفحة وينتهي بسطر معين آخر . وخير تقدم يمكن احرازه هو ان تتطور الظروف

.

بحيث يمكن تخصيص ساعة دراسية معينة يجب ان نعلم
الدرس خلالها » .

ان تايلر محق تماما . فعند الدراسة لأول مرة يجب
ان يخصص المرء لنفسه واجبات بسيطة سهلة . اذ لا
يمكن انجاز الواجبات الا اذا كانت كذلك .

ورضع الخطط صعب جدا بالنسبة للمبتدئ لانه
عادة لا تكون لديه فكرة واضحة عن مقدار ما يجب ان
يتعلم و عن كيفية تقسيم الموضوع الى مواضيع
منفصلة . فبإمكانه ان يسأل لهذا الغرض رفاقه الذين
سبقواه في معرفة الموضوع العام لمساعدته ، او يمكنه
ان يلجأ الى بعض الكتب المتوفرة بهذا الصدد . والناس
الذين يدخلون الدورات مرتاحون من هذه الناحية . انه
كما يقول فلاحونا « يعيشون بعقول الآخرين » . فخططهم
موضوعة من قبل المدرسين . وهذا في البداية أبسط
طبعا و افضل بعض الشيء بالنسبة لشخص غير م التجرب :
فليس ثمة خطر من ان يضل الطريق . ولكنه لو ترك
وحده لوضع الخطط وتخصيص الواجبات فسيجد نفسه
آخر الامر في وضع افضل من وضع الطالب الذي يدخل

الدورات لانه سيعمل كيف يضع الخطة التي تلائم
شخصياً وتتناسب مع معرفته .

و - والآن فلنمن النظر قليلا في المسألة التالية : في اي الحالتين يقصد الشخص المزيد من وقته وطاقةه حين يدرس دراسة فردية او في الحلقات ؟ ان ذلك يعتمد على شكل تنظيم الدراسات في الحلقة . فلو درس اعضاء الحلقة دراسة واعية ، ولو حضروا الاجتماعات بصورة منتظمة ولو انجزوا الالتزامات التي اخذوها على عاتقهم ، ولو كان بالإضافة الى ذلك على رأس الحلقة محاضر خبير ، فحينئذ يقصد الشخص المزيد من وقته وطاقةه في الدراسة فيها . فالعمل الجماعي يمكن ان يوفر الوقت . لذلك كان من الضروري ادخال توزيع العمل وتقسيم الواجبات تقسيما معقولا ، كل حسب طاقته . كما ان تبادل الآراء يساعد الناس على فهم الاشياء فهما واضحا . زد على ذلك ان المناقشة تثير الاهتمام وتخلق الافكار . وثمة شيء آخر ايضا . فالعمل الجماعي يستهوي الناس ويدفعهم على المواجهة في الدراسة . ان الدراسة في الحلقات ، لكل الأسباب الآنفة ، ثمينة ، شريطة التمسك بالشروط الآنفة طبعا . اما اذا تأخر اعضاء الحلقة في الحضور او لم يحضروا

الاجتماعات و اذا لم يدرسوا في البيت و اعتبروا
المناقشات في الحلقة كافية ، اي اذا لم يقوموا بأي عمل
جدي مستقل فمن الأفضل ان ينسحبوا من هذه الحلقة
ويدرسوا على انفراد .

و سواء درس الشخص في حلقة او درس مستقلا ،
عليه ان يحصل على كافة الكتب الضرورية ان هو اراد
ان يقصد وقته و طاقته و ان يسير في الطريق القويم .
فيجب ان يتوفّر لدى الشخص قاموس سياسي شعبي ،
وانسيكلوبيديا شعبية ، ودليل لاهم الكتب التي يجب ان
يقرأها مع ملاحظات و تعليمات حول ما يجب ان يعرفه
الشخص من المعلومات الأولية كي يستطيع قراءتها . . .
الخ . انه لا يمكن ان يستغني كذلك عن وجود مجموعة
من خطط الدراسة تتضمن سلسلة من الخطط في شتى
فروع المعرفة ، موضوعة لأناس ذوي مستويات تعليمية
مختلفة . كذلك يجب ان تكون لديه كتب لاهم فروع
المعرفة وكتب عن التثقيف الذاتي تعليمات عن الدراسة
المستقلة في هذا الموضوع او ذاك . ان هذه الكتب
والعوامل المساعدة تجعل الدراسة المستقلة متمرة .

ي يريد أن يدرس دراسة عامة
أرشادات عامة لمن

قواعد عامة :

١ - كيما يكون التثقيف الذاتي ناجحا ، من الضروري تطوير عدد من العادات : القراءة الصامتة ، عدم القراءة ببطء شديد ، معرفة استعمال الكتب والصحف والكتب الدراسية وقوائم المكتبات ، كيفية الاقتباس ، وكيفية تسجيل الملاحظات . وبعبارة اخرى لكي يدرس المرء بنفسه دراسة جيدة يجب ان يتمتع بالحد الادنى من تكنيك التثقيف الذاتي .

٢ - الدراسة الناجحة تتطلب مراعاة بعض القواعد .

فأفضل وقت للدراسة هو الوقت الذي لا يكون فيه الانسان متعبا ، اي حين يكون رأسه كما يقال « طرياً نشطاً » . لذلك فان الوقت المفضل للدراسة هو الصباح او بعد اوقات الاستراحة .

ولكي لا يتعب الشخص بسرعة من الدراسة يجب ان لا يدرس في غرفة قليلة الاضاءة ، نصف معتمة ، رطبة ،

كثيرة الحرارة . ومن الصعب الدراسة حيث تجري احاديث كثيرة وحين يقاطع الشخص مرارا عديدة .

وأفضل دراسة ينالها الانسان هي ان تتتوفر لديه الكتب والقواميس الضرورية . . . الخ .

لذلك فان من الافضل ان يدرس المرء في قاعة مطالعة او في مكتبة .

٣ - من الضروري ان يقرر الشخص ما يريد دراسته . فقد يحدث احيانا ان شخصا يريد الدراسة ولكنه لا يعرف ما يريد دراسته . تجري الامور على خير ما يرام في المزارع التعاونية او المعمل لوجود خطة . وكذلك تسير الامور في التثقيف الذاتي اذا وجدت خطة - اي ان لم يقفز الشخص من كتاب لآخر - ان لم يقفز من التاريخ الى الأدب ومن الأدب الى الفيزياء . فلا خير في دراسة بهذه . فهناك من يريد تعلم ما يخص الحزب، بينما يريد آخر ان يتعلم عن المزارع التعاونية وثالث عن التكنولوجيا ورابع عن تربية الأطفال الخ . وهناك من يريدون ان يكملوا دراسة السنوات السبع بينما يريد غيرهم نيل التعليم الثانوي او تعلم المدارس التقنية .

٤ - لا يكفي ان يقرر الانسان ما يريد ان يتعلم بل

من المضروري ايضاً ان يضع خطة للدراسة . وهذا هو اصعب الامور . فالمبتدئ عادة لا يعرف حجم المعرفة التي يريد اكتسابها ولا النظام ، اي الترتيب الذي يجب ان يدرس ويقرأ الكتب بموجبه الخ .

ومعه يساعدك في ذلك قوائم الآداب المفضلة ، وكتب التثقيف الذاتي والمناهج والكتب الدراسية . ولكن من الأفضل ان يتحدث مع اخصاصي في الموضوع قبل كل شيء ويستشيره . بامكانه ان يستشير المعلمين او المكتبات او المستشارين الذين يستخدمون عادة في المكتبات لغرض مساعدة الناس الذين يدرسون دراسة مستقلة . كذلك يمكنه ان ينال نصحاً قيمةً من المهندسين الزراعيين او المهندسين او الاطباء الخ .

والاستشارات قبل البدء بالدراسة ذات اهمية قصوى وغالباً ما تؤثر تأثيراً حاسماً على الدراسة المقبلة .

د - كيف يجب ان يدرس المرء ؟

أ - يجب ان لا يسرع او كما اعتاد الناس ان يقولوا يجب ان « يسرع ببطء » . فالتسريع في التثقيف الذاتي مضر ابلغ الضرر .

ب - عليه ان يعني بأن يزيل كل ع么ض من كل نقطه

غير مفهومة . وفي هذا السبيل عليه ان يلجم الى
القواميس الانسكلوبيدية وان يسأل الناس الذين يعرفون
الموضوع والمستشارين :

ج - عليه ان يعيد قراءة ما درسه ، وهذا يصح
بصورة خاصة على الموضوع الذي درسه في المرة
السابقة .

د - يجب ان لا ينقطع عن الدراسة فترات طويلة
خاصة في البداية حين لا يكون الموضوع الذي درسه قد
انطبع في ذاكرته . يجب ان يدرس بانتظام .

ه - ان الاقتباسات تساعد على تذكر الموضوع . فمن
الضروري ان يسجل في دفتره اهم النقاط التي قرأها،
وتفسيرات الكلمات او العبارات الغامضة واسماء المدن
والاشخاص والارقام . ويجب ان يقرأ ملاحظاته مرارا
وتكرارا . يجب ان يكتب كتابة معقولة لكي لا يضيع
الوقت في شطب ما قد كتبه .

٦ - من المفيد جدا استخدام كتب دراسة المراسلة ان
توفرت ، فهي تقدم النصح وتساعد على اتقان مواضيع
الدراسة .

حول التزكية الذاتي

ان اول مقال كتبته حول التثقيف المذاتي في ١٩١٩
كتبته للشباب الشيوعي . وقد اشار المقال وهو على حق
ان « خير ثقافة ذاتية يمكن ان ينالها المرء لا تكون
بالجلوس في احدى الدوائر بل بالمساهمة في النشاط
الجماعي » . وهذا صحيح ، ولكن المقال قد كتب في
١٩١٩ ، اي في ذروة سعير الحرب الاهلية حين كنا
نكافح دفاعا عن السلطة السوفياتية وحين كانت البلاد
برمتها تقريبا امية ومفككة اقتصاديا ، وحين لم يكن
لدينا الورق الكافي لطبع الكتب ، وحين كنا مضطرين
إلى تحديد تداول الصحف ، وحين لم يكن في البلاد الا
عدد قليل من المدارس . ولذلك كان موضوع مقالي
الرئيسي آنذاك مسألة التعاون المتبادل في التثقيف .

لقد كان التعطش الى التعلم هائلا ، بينما كانت
الفرص محدودة .

ومذ ذاك تغير وجه قطرنا تغيرا تاما : فالليوم قد طبق
قانون التعليم الالزامي واتسع تداول الصحف وطبع
الكتب الدراسية الضخمة ونظمت شتى انواع الدورات
واتسعت شبكة الراديو . وقد قضي على الامية في
قطرنا تقريبا وازاد وعي الناس . بيد ان ما قلته عن
المتعاون المتبادل في ١٩١٩ يصح في الوقت الحاضر
ايضا . فقد قضي على الامية في القطر تقريبا ، ولكن
المستلزمات الثقافية قد تمت بشكل ملحوظ ايضا وكذلك
يجب النضال من اجل القضاء النهائي على الامية ، اذ
ما زالت بعض المحلات كمنطقة سيميونوفسكي في قطاع
كوركى حيث ازدهرت الحرف اليدوية لقرون عديدة ،
وحيث استغل الاطفال الى اقصى حدود الاستغلال ، ما
زال هنالك العديد من الاميين . وكذلك لم يقض على
الامية ١٠٠ بالمئة في المناطق القومية حيث اسلوب
السائل في الحياة لأمد قريب كان اسلوب القبائل المرحل ،
وحيث تضييع القرى المتباudeة في السهوب الشاسعة
وحيث ما زال نشر الكتب بلغاتهم القومية منظما تنظيما
سيئا . ان حملة مكافحة الامية بمبادرة عصبة الشباب

الشيوعي ساعدت على انتشار التعاون المتبادل في التعليم الابتدائي وساهمت مساهمة جبارة في محو الامية من بلادنا . وقد جرت الامرور بسرعة لم تدع مجالا للاهتمام اهتماما كبيرا بنوعية التعليم ، بل ان مفهوم القراءة والكتابة ذاته قد ضيق كثيرا . يجب ان لا تغفل الانتباه الى اشكال التعليم الابتدائي ويجب ان نتذكر ان هنالك الكثير من انصاف الاميين في بلادنا حتى بين الشباب . ان التعاون المتبادل لا غنى عنه في كل اشكال التعليم من الناحية الجماعية . وان ما قلته في ١٩١٩ ما يزال صحيحا اليوم ايضا .

ولكني اود في هذا المقال ان الفت الانتباه الى مسألة اخرى - مسألة التثقيف الذاتي ، اي كيف يكتسب الانسان المعرفة بصورة مستقلة . في السنوات الاولى للحكم السوفيياتي اعانت مدارسنا من الاهتمام الى تطور الاطفال العام اكثر مما اعانته الى الدراسة . وكان التعليم بالاجمال منظما تنظيما سيئا جدا . ولم تتوفر آنذاك كواذر تعليمية جيدة وكان علينا ان نعيid تنظيم النظام التعليمي برمته ، وكان ذلك كل ما يشغل بالنا آنذاك . اما في السنوات القلائل الماضية فقد ركزنا اهتمامنا في الدراسة وفي نقل المعرفة الى الآخرين وفي

القاء المحاضرات وفي مساعدة المطلاب على اتقان المعرفة التي يقدمها لهم معلموهم وفي اتقان المواد الواردة في الكتب الدراسية . لقد أصبح التعليم المهمة الاولى .

كتب ولهم ليبيكنت ، وهو من الزملاء المقربين لماركس وانجلز ، في كراسه «المعرفة قوة» ان ارباب العبيد والاقطاعيين والرأسماليين كانوا يحاولون تسخير المعرفة لاغراضهم الخاصة وتحويلها الى امتياز ، وكانوا يبذلون قصارى جدهم لمنع الجماهير من اكتسابها .

وقد كتب لينين عن نفس الموضوع في ١٨٩٥ الى الجريدة المسورية رابوتشي ديلو . وقد صودرت المسودة اثناء غارة من غارات الشرطة واعتقل لينين . وقد وجد المقال في سجلات الشرطة بعد قيام الحكم السوفياتي ، ونشر لأول مرة عام ١٩٢٤ بعد وفاة لينين . وكان عنوان المقال «بماذا يفكر وزراؤنا ؟» وانتهى المقال بالكلمات التالية :

«ايها العمال انكم ترون بأم اعينكم كيف يخاف

وزراؤنا ، خوف الموت ، من اكتسابكم المعرفة ! اظهروا
لكل انسان ان ليس من قوة تستطيع حرمان العمال من
وعيهم الطبقي . ان العمال بدون المعرفة مغلوب على
امرهم ، اما مع المعرفة فهم قوة . »

بيد ان وضع اليد على هذه المسودة لم يثن الرفاق
بأية حال عن شرح وتوسيع هذه الفكرة اثناء نشاطهم
التحريكي . ففي ١٨٩٦ ، اي بعد ستة شهور من اعتقال
لينين . كتب في يوم العمال في الاول من ايار نشرة طور
فيها هذه المقوله وتمكن من تهريبها الى خارج السجن .
وقد جاء في النشرة المطبوعة بالرونيو « افنا نحن العمال
يحيى علينا الظلم . فقد حرمنا المعرفة لانهم لا يريدوننا
ان نتعلم كيف نناضل عن اجل حياة افضل » . ومنذ ذلك
الحين كانت ضرورة اكتساب المعرفة من اجل النضال
المبدأ الاساسي في جميع نشاط عاملی الحزب في
الدعایة والتحريك . وكيف يمكن ان يكون غير ذلك ؟
فتعاليم ماركس وانجلز التي سلحت الطبقة العاملة في
نضالها لم تكن نبوءة منزلة ولا اختراعا ، بل كانت عملا
علديها يربينا الجهة التي يسير اليها تطور المجتمع وكيف
يمكن احراز النصر .

وقال لينين في الخطاب الذي القاه عام ١٩٢٠ عن المهام التي تجاهه عصبة الشباب : « اذا سألكم لماذا استطاعت تعاليم ماركس ان تخليب قلوب الملاليين وعشرات الملاليين من افراد الطبقة الاكثر ثوريه ، فلن تذالوا سوى جوابا واحدا : لأن ماركس وضع قدميه على اساس مقيم من المعرفة الانسانية المكافسبة في ظل الرأسمالية . فقد ادرك ماركس ، وهو يدرس قوانين تطور المجتمع الانساني ، حتميه تطور الرأسمالية الذي يسير نحو الشيوعيه . والشيء الرئيسي هو انه لم يبرهن على ذلك الا على اساس ادق دراسه ، واوسعها واعمقها ، لهذا المجتمع الرأسمالي ، والا باستيعابه كل ما انتجه العلوم الى يومه » .

لقد حاول الانتهازيون بكل ما اوتوا من قوة البرهنة على ان تعاليم ماركس وانجلز لا تستند الى اساس علمي .

ففي احد المؤتمرات الحزبية في بريسلاو في المانيا عام ١٨٩٥ ، اي قبل اربعين عاما ، ادعى ذلك الانتهازي الزنجم دافيد ، ان حزب الطبقة الغاملة (وكان يدعى حينئذ الحزب الاشتراكي الديمقراطي) كان حزبا قائما

على الارادة وليس على العلم . وقد دحضت رأيه كلارا زيتكن اذ قالت : « فيرأيسي ان الحزب الاشتراكي الديمقراطي هو حزب ارادة موجهة حازمة لانه حزب علم ، موجه حازم » .

وفي مؤتمر الحزب عام ١٩٠٨ عادت الى هذه المسألة . فقد كتب الانتهازي موريريك في مقال في الصحافة البرجوازية « ان تحقيق اسلوب الانتاج الاشتراكي لن يكون بنتيجة خبرة تاريخية ، بل انه فكرة تنظيمية بحثة ، انه قضية ايمان وامل » . وقد قالت كلارا زيتكن تعليقا على هذه العبارة :

« ليست هذه العبارة سوى نقض لوجهة النظر القائلة بأن الدولة الاشتراكية في المستقبل ضرورة تاريخية حتمية ونتائج تطور المجتمع تتطور طبيعيا . او بعبارة ابسط انها اكثـر من النكوص بالاشتراكية الى نظريات الاشتراكيين المطوية اـلـيـئـيـن ، انـهـاـ قـلـبـ الاـشـتـراكـيـةـ الىـ نوعـ منـ التـضـليلـ الـكـنـائـسـيـ . فـمـنـ الـضـرـوريـ جـداـ ، فـيـ اـعـقـادـيـ انـ نـعـنـ بـكـلـ ثـبـاتـ وـعـزـمـ انـ النـاسـ الـجـاهـلـيـنـ جـهـلاـ مـطـبـقاـ وـالـمـرـقـبـيـكـيـنـ فـيـ فـهـمـ الـاسـسـ الـنـظـريـهـ

للماركسيّة لا يصلحون بتاتاً لتحقّق البروليتاريّا بالاشتراكية ، ولا لأن يكونوا معلميه وقادتها (تصفيق حاد) وان كل من يصادق على مثل هذه الآراء ، الآراء التي ليست في الواقع سوى ضرورة المعرفة العلميّة الواضحة العميقّة الجذور والتي تسعى الاشتراكية الديمقراتيّة إلى تلقيّها للجماهير وجعلها أساساً لنشاطها العمليّ ، اقول أن كل من يصادق على هذه الآراء يجب ان ينزوّي في احد اركان بيته هادئاً متواضعاً ليتقن النظريّة قبل ان يجرؤ على الدعوة لتحرّيف النظرية الاشتراكية إلى العالم » (تصفيق طويل) .

وقد آل مصير الانتهزيين الالمان الآن إلى الانحياز إلى جانب الفاشية التي تكره الاشتراكية العلمية أكثر من اي شيء آخر ، فالفاشست يحرقون الكتب الماركسيّة الكلاسيكيّة ، ولكنهم اعجز من ان يقفوا بوجه المسيرة التاريخية التي اوضحتها مؤسساً الماركسيّة ، المسيرة التي لا بد وان تنتهي بانتصار الاشتراكية في جميع انحاء العالم .

ويظهر تاريخ حزبنا ، ان الحزب قد شن نضالاً حازماً

من أجل النظرية الماركسية وضد تحريفها وتشویهها .

خذوا مثلاً أول مؤلف كبير من مؤلفات لينين « هن هم أصدقاء الشعب » وكيف يكافحون الاشتراكيين الديمقراطيين (المجلد الأول) الذي كتبه عام ١٨٩٤ لمارية سوء فهم الناقدونيك بقيمة الماركسية العلمية .

وفي مقال «فردرريك انجلز» الذي كتبه لينين بمناسبة وفاته في عام ١٨٩٥ لصحيفة سرية أكد باسلوب شعبي أهمية الماركسية العلمية الهائلة .

وفي مقال «فردرريك انجلز» الذي كتبه لينين بمناسبة الطبقة العاملة الروسية ايضاً ، ففي نهاية العقد الاخير في القرن الماضي حاولت الجريدة السرية رابوجايا ميل أن تقصر حركة العمال على النضال من أجل المطالب الصغرى ، وقد تمادت الجريدة الى درجة أنها اعلنت باسم العمال « بأننا لا نحتاج الى ماركس وانجلز وأشباههم ، فنحن العمال نعلم ما نريد عمله » .

وفي مطلع هذا القرن ظهر تيار انتهازي في الحركة الاشتراكية الديمقراطية الروسية تدعى «الاقتصادية»

وقد زعم الاقتصاديون بأن العمال يجب أن لا يشغلوا أنفسهم بالنظريات ، أو أن يشتغلوا في النضال السياسي يل انهم يجب أن يشنوا نضالا اقتصاديا وحسب ، نضالا يستهدف ظروفا مادية افضل .

وقد كافح اللينينيون هذا التيار بكل حزم .

وبعد ذلك - في سنوات الرجعية والتذبذب الايديولوجي التي تلت ثورة ١٩٠٥ - ظهر تيار بين البلاشفة ، تحدي صحة المادية الديالكتيكية - الاساس العلمي للماركسية - وحاول البرهنة على ان الاكتشافات الاخيرة في العلوم الطبيعية تتناقض مع تفسير الظواهر تفسيرا ماديا ، لذلك صار من «الضروري» خلق نظرية جديدة ، وقد دخل لينين معهم في معركة علمية حامية الوطيس وفضح كيف ان استنتاجاتهم خاطئة وتفتقر الى الاساس العلمي، كان ذلك في ١٩٠٨ و ١٩٠٩ وكان الكتاب الذي كال لهم فيه لينين ضربته المادية والنقد التجريبي (المجلد الرابع عشر)، وقد اعار فيه لينين اهتماما خاصا للدعائية الماركسية وطلب الى كافة اعضاء الحزب وعصبة الشباب الشيوعي أن يدرسوا الماركسية .

وقد شرح لينين كيف يجب أن يدرس الشباب الماركسية احسن شرح في خطابه عن مهام عصبة الشباب . فقد شرح كيف يجب أن يدرسوا ، وماذا يجب أن يدرسوا ، ان هم أرادوا أن يصبحوا شيوعيين واعين . وأوضح كيف يجب استيعاب مادة الدراسة وكيف يجب أن يعملوا بحيث « لا تصبح الشيوعية شيئاً مدروساً ، بل شيئاً تكون أنت نفسك قد فكرت به ومحضته » .

ثم قال : « اتنا بحاجة الى تطوير وايضاح ذهن كل طالب بمعرفة الحقائق الاساسية . لأن الشيوعية تحول الى كلام فارغ أو مجرد شعار مكتوب ، ويصبح الشيوعي مجرد ثرثار ان هو لم يستوعب في ذهنه كل ما اكتسب من معرفة . ولا يجب أن تستوعب هذه المعرفة وحسب ، بل يجب أن تستوعبها استيعاباً انتقادياً ، لكي لا تحشر ذهنك بتوافقه لا فائدة فيها بل تغنيه بكافة الحقائق التي لا يمكن أن يستغنى عنها أي انسان متعلم . وان فكر شخص في أن يتباهى بشيوعيته بسبب الاستنتاجات الجاهزة التي تعلمها دون أن يبذل فيها مقداراً عظيماً من العمل الجدي المتواصل ودون أن يفهم الحقائق التي يجب أن يفحصها فحصاً انتقادياً فإنه يكون شيوعياً يرثى له .

فهذه السطحية خطوة مميئة . فان كنت اعلم اني لا اعرف الا القليل فسأسعى حينئذ الى المزيد من التعلم ، اما اذا قال الانسان انه شيوعي وانه ليس بحاجة الى ان يتعلم اي شيء تعلما شاملا فلن يكون له اي شبهه بالشيوعي في يوم من الايام .

واضح وضوح الشمس ، انه اذا وجب أن يختار الشخص المواد الضرورية وأن ينتهي أهم اجزائها فان عليه أن يفكر فيها مليا وأن يتوصل الى الاستنتاجات الضرورية ، لا أن يهضمها ميكانيكيا وحسب . وبعبارة أخرى يجب أن يتعلم المرء العمل مستقلا ولذلك فان عليه أن يكون لديه فكرة عن كيفية القيام بهذا العمل المستقل» .

والمسألة الثانية التي ناقشها لينين في هذا الخطاب ، كانت مسألة ربط النظرية بالتطبيق .

قال : من اعظم المساوىء وال المصائب التي تركها لنا المجتمع الرأسمالي القديم هو فصل الكتب فصلا تماما عن الحياة العملية . فقد كانت لدينا كتب تناولت وصف كل شيء احسن وصف ممكن ، ومع ذلك كانت هذه الكتب في

أغلب الحالات تحوي أكبر الافتراءات المرائية الكريهة
التي تصف المجتمع الرأسمالي وصفاً كاذباً .

لذلك فان من الخطأ المفاحش أن يستوعب المرء كل ما
كتب عن الشيوعية في الكتب بشكل مجرد . ففي احاديثنا
ومقالاتنا لا نعيد ونكرر ما قيل في السابق فقط عن
الشيوعية ، لأن خطاباتنا ومقالاتنا ترتبط بعملنا اليومي
في كل فروعه . فيدون العمل ، بدون النضال ، تصبح
معرفة الشيوعية معرفة مجردة مستقلة من الكرايس
والكتب الشيوعية عديمة الفائدة اطلاقاً ، لأنها بذلك
تواصل الفصل القديم بين النظرية والتطبيق ، هذا القضل
القديم الذي كان ابشع معالم المجتمع البرجوازي القديم .

لكي يتعلم المرء ربط النظرية بالتطبيق في العمل
اليومي في كل ميدان من ميادين العمل من أجل الصالح
العام ، عليه أن يدرس كثيرا دراسة مستقلة ، وفي العمل
التطبيقي تنشأ مسائل عديدة لا يمكن أن يحلها المرء الا
إذا توفرت لديه المعرفة الكافية ، فعلى الإنسان أن يعرف
كيف يكتسب هذه المعرفة بصورة مستقلة ، ولكي يحقق
ذلك يجب أن يكون لديه حد أدنى من المعرفة وأن تكون
لديه عادة الدراسة دراسة مستقلة .

ولدينا الان سجل عامر بالإنجازات ، فقد تبدل وجه قطرنا تبلاً جذرياً وأصبح الناس واعين منظمين ، بيد ان المزيد من التقدم يتطلب المزيد من المعرفة ، زد على ذلك ان الجماهير العاملة الواسعة يجب أن تسلح لا بنتف من المعرفة بل بالمعرفة التي تؤلف كلاً متكاملاً ، المعرفة الضرورية لرفع عملنا التطبيقي الى مستوى أعلى

اننا بحاجة الى المعرفة لغرض تقوية نفوذنا على الشعب العامل في البلدان الاخرى ، ونحتاجها لجعل قطرنا أقوى وأقوى ولتعزيز قوته وتنظيمه ، ولكي تكون منجزاتنا اكثراً اقناعاً للجميع .

اننا بحاجة الى المعرفة للدفاع عن ارض وطننا ونحتاجها للنضال من اجل الثورة الاشتراكية العالمية .

ونحتاجها الان اكثر من أي وقت في الماضي . . .

الفهرس

صفحة

٣

□ تنظيم التثقيف الذاتي

١٠

اختيار مادة الدراسة

١٧

كيف ندرس المواد الضرورية

٤٠

اقتصدوا الوقت والطاقة

□ ارشادات عامة من يريد أن يدرس دراسة عامة ٥٧

٦٣

□ حول التثقيف الذاتي

مطبيخ الرأي الجديد

منزه العصرين - شارع نايف، تللو

تلفون ٢٣٠٣١

الثمن : ٢٠٠ ق.ل.